الفصل 8

جنون الشك صنعتنا

كان الأميرال دونيتز محتاراً بسبب الفشل المتكرر في خطوط دوريات الغواصات للبحث عن طرائدها في وسط المحيط الأطلسي، فذكر في سجله الحربي في 19 تشرين الثاني 1941 التفاسير الممكنة. فكتب: «لا يقع الحادث على الجانب نفسه في كل مرة»؛ ولا يمكن أن يكون الخط في جذوره. ولكن يبدو أنه لا يوجد تفسير كاف أيضاً. الخيانة مستبعدة تماماً؛ فعدد الذين يعرفون ترتيب الغواصات صغير جداً، وحتى العاملين بالراديو الذين يعالجون الرسائل كانوا لا يعرفون شيئاً لأن البحرية، اعتباراً من حزيران، تخفي «مراكز الشبكة المربعة» في رسائل الإنيغما. ثمة رادار بريطاني جديد يمكن أن يكون أحد الاحتمالات، لكن هذا مجرد تخمين. عُرف عن البريطانيين أن لديهم قدرة متقدمة لتحديد موقع الإشارات عن طريق جهاز إيجاد الاتجاه، لكن البحرية الألمانية اتخذت خطوات غير عادية لإفشاله. أصبح من الممنوع على الغواصات إرسال إشارات إلا في بعض الحالات الضرورية جداً. أُصدرت كتب إشارات قصيرة خاصة: يمكن للغواصات إرسال رسالة إنيغما تحوي ست رسائل أو اثنتي عشرة رسالة للبث العادي حول تقارير الطقس أو مشاهدات سفن العدو. ويمكن لمذيعي الراديو أن يكونوا على الهواء لمدة عشر ثوان في كل مرة. وعندما يكون عدد الاتصالات المطلوبة أكبر، تقوم محطة على الشاطئ بوضع سؤال وقائمة من الإجابات المحتملة، ويسمح للسفينة بالإجابة «بنعم أو لا» فقط. لاحظ دونتيز: ولكن إذا لم تكن هذه الاحتياطات كافية، لا يبدو أن جهاز إيجاد الاتجاه هو المسؤول عن النجاح البريطاني. «في كثير من الحالات لم يظهر أن العدو قد توصل إلى الاستنتاجات التي يمكن أن يتوقع أن يصل

إليها من معطيات [جهاز إيجاد الاتجاه] المعروفة لديه بالتأكيد». الشيء الوحيد الذي كان الأميرال الألماني متأكداً منه هو أن البريطانيين لم يخترقوا الإنيغما: «فهذا الاحتمال كان موضع فحص مستمر تقوم به هيئة أركان حرب البحرية وكان يعتبر مسألة غير واردة أبداً».

أثيرت الشكوك حول أمن الإنيغما بضع مرات خلال عام 1941. بعد إغراق سفن التموين «بسمارك»، بدأت أركان الحرب فحصاً كاملاً للأمن، ولاحظت باهتمام خاص وقوع السفينتين إسوهامبرغ وإيغرلاند في كمين نصبه البريطانيون في نقاط التقاء حددت احداثياتها وأذيعت في رسالة إنيغما. ومما أثار مزيداً من الذعر الهجوم الفاشل الذي قامت به غواصة بريطانية على ثلاث غواصات عند نقطة الملتقى عند جزر الرأس الأخضر في أواخر أيلول. وبدا من غير المعقول أن وجود الغواصة البريطانية في تلك النقطة البعيدة كان مجرد صدفة.

لكن هناك مقولتان محددتان لا ينفذ منهما الماء حول أمن الإنيغما، أو هكذا بدا للقادة العليا الألمانية. الأولى، أمن الإنيغما والكتابة السرية، إن الطرق المستخدمة لإخفاء إعدادات الآلة لكل من الرسائل تعني أنه لو امتلك العدو آلة فإنه يحتاج إلى قائمة الإعدادات اليومية؛ حتى لو حصل على القوائم اليومية، فهناك إجراء خاص يدعى «الكلمة المفتاح» Stichwort التي تفشل أي محاولة لاستخدام هذه القوائم. عندما تبث «الكلمة المفتاح»، يفتح عاملو الإنيغما الموجودون على ظهر الغواصات مغلفاً مختوماً، في داخل المغلف قصاصة من الورق كتبت عليها «الكلمة المفتاح»، وكان على العاملين اتباع إجراء معقد وسري للغاية لإضافة حروف الكلمة المفتاح إلى نظام الدولاب، وإعدادات الحلقة والقوابس المحددة في قوائم المفتاح اليومية. والراحة التي حصلت عليها القيادة العليا من الإجراء جعلها تتجاهل تماماً احتمال أن يحصل أحد ما على نظام الدولاب وإعداد الحلقة والقابس مباشرة، بواسطة تحليل الكتابة السرية، أو من النص المشفر نفسه – احتمال بدا أكثر روعة من أن يتحقق.

كان الدليل الآخر على الأمن أن مكتب تفكيك الشيفرة في البحرية الألمانية، وهو «مصلحة المراقبة» ويعرف اختصاراً «بي – دينست B–Dienst»، يقرأ شيفرات البحرية البريطانية بسهولة مضحكة تقريباً. استخدمت قيادة البحرية نظامين رئيسيين للترميز، وكلاهما رموز مشفرة. واحد يستعمل للضباط ويسمى شيفرة بحرية، والآخر يستعمل للأشخاص المتطوعين ويسمى الرمز البحري. وكان الرمز البحري يستخدم قبل الحرب للرسائل الإدارية الطويلة ويكون غير مشفر، وكان يستخدم مشفراً مع كتاب للإضافات للإشارات السرية، وسمح هذا الاستعمال غير المتقن للألمان باستعادة كل من كتاب الرموز الأساسي وكتاب الإضافات بقدر قليل من الإشكال. ومضى زمن طويل لم تزعج البحرية الملكية نفسها بتشفير المؤشرات التي تبث مع كل رسالة، وكانت تحدد نقطة البداية في كتاب الإضافات، وهذا ما جعل الحياة أسهل بالنسبة «لمكتب دينست». في أوائل خريف 1940. كان الألمان يقرؤون 50٪ من إشارات البحرية البريطانية بقليل من التأخير.

بعض التغييرات المتأخرة في كتاب الشيفرة واجراءات التشفير جرى إدخالها في أواخر 1940 وأوائل 1941، فأعاقت الجهد الألماني، ولكن في شهر تشرين الأول 1941 بدأت البحرية البريطانية والبحرية الأمريكية والبحرية الكندية باستخدام شيفرة جديدة خاصة استخداماً مكثفاً، الشيفرة البحرية 3 (وسميت كذلك «الشيفرة الأنغلو أمريكية أو شيفرة القافلة»، للمرافقة المنسقة للسفن في المحيط الأطلسي. تعرف المكتب دينست سريعاً على أن الشيفرة الجديدة تعمل بطريقة مماثلة جداً لشيفرة قيادة البحرية التي فككها المكتب سابقاً، ولذلك في آذار 1942 كانت البحرية الألمانية تتسلم تقارير سريعة جداً عما تود قوافل الحلفاء القيام به، وكان ما يقرب من 80٪ من الرسائل بالشيفرة 3 تُقرأ خلال بعض الوقت، وخلصت أركان البحرية الألمانية إلى درسين من هذا الوضع. الدرس الأول، إذا كان البريطانيون يقرؤون الشيفرات الألمانية، هناك شيء قليل ثمين ليظهر في الإشارات التي يرسلونها إلى سفنهم. «إن تقييم القيادة البحرية البريطانية المفكك لترتيبات

غواصاتنا تعطي الدليل على ذلك... فهي لا يغنيها أي نتائج من تفكيك الشيفرة»، كان هذا هو استنتاج أركان الحرب. لكن هناك أسباب لغياب إشارات المخابرات في التقارير البريطانية، لا تدركها أركان الحرب. الأول كان الحظ البريطاني، وكان الثاني الذكاء البريطاني، وكما شاء القدر، صادف تفكيك مكتب دينست للشيفرة 3 تماماً مع فقدان بليتشلي بارك لآلة «شارك». لم تحتوي الشيفرة 3 على أي إشارات إلى نجاح البريطانيين في تفكيك الإشارات الألمانية لسبب بسيط، في ذلك الوقت، لم يكن البريطانيون يفككون الإشارات الألمانية. ولكن عندما كانوا، كان بليتشلي بارك والقيادة البحرية حريصين حرصاً كبيراً على إخفاء حقيقة أن التقييمات المخابراتية كانت ترسل إلى مستلمين عموميين. وكانت الآلة ULTRA شكلاً أقل إخفاء وصدرت «بالنظام الصفحة الواحدة بالمرة الواحدة» الذي لم يكن المكتب دينست يقرؤه.

الدرس الثاني الذي استخلصته أركان الحرب البحرية من السهولة التي فككوا بها الشيفرة البريطانية أن أي شخص غير كفء لدرجة يرتكب فيها أخطاء أمنية كما يفعل البريطانيون، لا يمكن أن يمتلك المعلومات المتقدمة في تحليل الكتابة السرية لتفكيك الإنيغما. «إن شهرة البريطانيين بالغباء» التي خدمت الغرفة 40 خدمة جيدة في الحرب العامية الأولى – أو ربما كان الأصح هو الغطرسة الألمانية – قدمت للإنقاذ مرة ثاني. فكانت تقول: إن النجاح جعل مفككي الشيفرة البريطانيين والأميركان حذرين؛ وجعلت مفككي الشيفرة الألمان معتدين بأنفسهم.

--- --- ---

كان استخدام إشارات المخابرات استخداماً تكتيكياً مخاطرة محسوبة دائماً، لكنه على الأقل ذو فوائد يمكن أن توازن خطورة إثارة شكوك العدو. والكابوس الحقيقي لمن يفككون الشيفرة هو أن أي إهمال بسيط، أو إشاعة أو تبجح قد يجعل عملهم بكامله في خطر لا يفيد معه أبداً. بل إن الأسوأ من ذلك كله أن يقع واحد من العارفين في أيدي العدو حيث يكشفون، تحت التحقيق والتعذيب،

حالة نجاح الحلفاء أمام شيفرات العدو. حل بليتشلي بارك تلك المشكلة عن طريق عدم السماح لأي شخص بالخروج بعد دخوله. لم يكن جيش الولايات المتحدة ولا بحريتها بهذه الصراحة، لكنهم على وجه العموم لا يسمحون لأي شخص عمل في شيفرة العدو من المراكز العالية بدخول مناطق المعارك. كان هذا المبدأ سليماً، لكنه لم يفلح في عمل شيء حول الوضع في الفلبين، حيث وصلت منطقة المعركة إلى مفككي الشيفرة. قبيل الهجوم الياباني، انتقلت محطة كاست Cast من قاعدة كافيت البحرية إلى أحد الأنفاق المحفورة في الصخور الصلبة في كوريجيدار، وهي قلعة جزيرة تبرز بشكل رباعي في فوهة خليج مانيلا. كانت الخطة الأصلية لوزارة الحربية أن تدافع عن الأرخبيل المكشوف الذي يؤلف الفلبين، يحتمل أن يقوم جيش الولايات المتحدة بكامله بالانسحاب إلى كوريجدار وشبه جزيرة باتان وينتظر أن تقوم البحرية بعملية إنقاذ. لقد رفض ماك آرثر، الذي خدم كمستشار للجيش الفلبيني منذ عام 1935، الخطة لأنها انهزامية؛ وقرر أنه سيجعل القوات الفلبينية تأخذ شكلها وتدعمها القوة الجوية الأمريكية وتقوم بمقابلة الغزاة على الشواطئ. لا شك أن الخطة مشجعة، لكنها بقيت مدة أسبوعين فقط بعد هجوم بيرل هاربر — حتى نزل اليابانيون على الشواطئ فعلاً، ثم تراجع ماك آرثر إلى باتان وكويجيدار. وصل إلى هناك مائة ألف من الجنود والمدنيين. لكن ذخائرهم وطعامهم لم تصل؛ فقد رفض ماك آرثر تكديسها هناك عندما خطط للقتال على الجبهة.

لكن انتقال المحطة كاست إلى أنفاق كوريجيدار قد خطط منذ بعض الوقت، بالنظر إلى طبيعة عملها الخطرة والحساسة؛ كانت مستودعاتها تحت الأرض مجهزة بمولدات تعمل بالمازوت وبمكيفات، وعندما وصل الضباط العشرة والواحد والخمسون رجلاً ومعهم جهاز الراديو وآلات IBM وآلات كاتبة الكانا (الرموز اليابانية)، استطاعوا البدء بعملهم دون تأخير. لكن سرعان ما سيطر تدفق الجنود والأمريكيين والفلبيين المنسحبين على موارد الغذاء في الجزيرة. بدأت القاذفات اليابانية تدك كوريجيدار في 8 كانون الأول واستمرت دون توقف.

ونُسفت بيوت محطة كاست وملعبا كرة اليد وكرة المضرب، وراح العاملون ينامون في «المكتب» ويلتهمون وجباتهم عند مدخل النفق، حيث وضع طباخ المحطة معداته وحيث يستطيعون الاختباء إذا ما ظهرت القاذفات. في أواخر كانون أول خفض معدل الطعام إلى وجبتين في اليوم، وحددت حوالي موعد جولتين من الغارات اليابانية في اليوم؛ فكان الفطور بعد غارة الصباح حوالي الساعة التاسعة، وكان الغداء/ العشاء حوالي الساعة الثالثة، إما قبل غارة الظهيرة أو بعدها. كان الفطور معكرونة السباغيتي، مع مرق البندوة أو بدونه أو الخبز والقهوة. أما الغداء فكان الأرز مع مرق البندورة أو بدونه، والخبز والقهوة، وللتنويع كان الطباخ أحياناً يقدم الأرز للفطور والمعكرونه لطعام الغداء.

ونجحت المحطة في الحفاظ على عملها، وحتى أنها طلبت أن يشحن لها أربعمائة ألف من بطاقات IBM، وقد وضعت على السفن في 31 كانون أول، لكن الأوضاع تراجعت سريعاً، لم تكن الأرزاق تمر، ولا يبدو أنها ستمر، ما دامت القيادة اليابانية في البحر والجو وحيدة الجانب. في 15 كانون الثاني بدأت القوات اليابانية هجوماً جبهياً ضد خط الحلفاء الموجودين في وسط شبه جزيرة باتان. وفي نهاية أسبوع من قتال الغابات الشرس، تمسك الأمريكيون بمواقعهم ثم تراجعوا متعبين. وخفضت حصص الأرزاق إلى ثلاثين أونصة من الطعام في اليوم الواحد.

عند نهاية الشهر اتضح أن الحالة ميؤوس منها، وتحدث ردولف فابيان، قائد المحطة كاتس، طويلاً مع نائبه، الملازم جون لايت ويلر، عما يجب عمله. وقررا أخيراً أن يطلبا السماح بالإخلاء حتى «لا نخسر الوحدة بكاملها بضربة واحدة». في ليلة الرابع من شباط تسللت الغواصة «سي دراغون» إلى خليج مانيلا وتوقفت في كوريجيدير. وصعد على متنها فابيان وأربعة ضباط آخرين وثلاثة عشر رجلاً متطوعاً (بعدما أفلحوا في حل أقفال ستة أجهزة استقبال وتسع آلات كاتبة ذات الرموز اليابانية (كانا)، وتحت جنح الظلام غادروا «الصخرة»، متجهين إلى جاوا. وكانت الفكرة أن يؤسسوا محطة مشتركة مع الهولنديين، وعند وصولهم إلى «سورابايا» في اليوم الثالث عشر، سافرت الجماعة بواسطة القطار قاطعين الجزيرة

بطولها إلى باندونغ. وهناك، في مبنى وزارة الحرب الهولندية، نجحوا بتركيب بضع هوائيات قبل أن يصبحوا هدفاً لهجوم جوي ياباني مرة أخرى؛ في العشرين من الشهر جاء الأمر بالإخلاء خلال أربع ساعات. وبعد قيادة السيارات خلال الليل، صعدوا إلى متن غواصة أخرى متجهة إلى استراليا هذه المرة. وكانت أوامرهم أن ينزلوا في مكان اسمه خليج ايكسموث وأن يتقدموا بواسطة السيارة أو الشاحنة. وعند وصولهم، اكتشف فابيان أن عدد سكان خليج ايكسموث يبلغ 100 شخص، وبضعة ملايين من ذباب الصحراء الموحش، ويوجد فيه سيارات أو شاحنات. ومن ثم انتقلوا إلى بيرث في 3 آذار، أي حوالي شهر من مغادرتهم لكوريجيدر.

وطلب من ماك آرثر ذاته أن يخرج في أواخر شباط. وعندما كان على ظهر القارب PT في 12 آذار مع زوجته وابنه، وهو الرجل ذو المسؤولية الكبيرة عن الكارثة وقد صرح وهو يمارس موهبته الدرامية، «سوف أعود». (فأبرقت وزارة الحربية، «هلا قلت على الأقل سوف نعود»، لكن ماك آرثر رفض). ومع تقهقر الوضع سريعاً، أرسل الأميرال كينغ أوامره في 5 آذار بأن يخرج الرجال الذين لا يزالون في محطة كاست أيضاً، بالطريقة التي تتاح لهم:

«إجلاء عناصر وحدة مخابرات الراديو بالسرعة الممكنة، إذا لم يتوفر لهم أماكن في غواصة، استخدموا أي وسيلة نقر لإخراجهم على الأقل إلى جنوب الفلبين أو اتخذوا كل الخطوات الممكنة لمنع فقدان الأشخاص من وحدة مخابرات الراديو».

كان المجموعة الثانية التي ستغادر عبارة عن 4 ضباط واثنين وثلاثين رجلاً متطوعاً، وكانت رحلتهم مفزعة، ينتصب منها الشعر إضافة إلى دخول شخص فيما يشبه الورطة لحماية مصدرهم. أبحرت الغواصة بيرميت (السماح) بهم في 16 آذار. ونتيجة لفوضى على رصيف الميناء، صعد إلى ظهر الغواصة فريقا إخلاء فكان العدد 111 شخصاً، وهذا العدد ضعف استيعابها. فواجه رئيس وحدة مخابرات الراديو دوين وايت لوك مأزقاً على الفور. ووضع قبطان الغواصة طريقاً عبر جزر الفلبين إلى بحر سولو. وعرف وايت لوك، من تحليل للرسائل كان قد أكمله

في كوريجيدار، بأنهم متجهون مباشرة إلى مركز تجمع المدمرات اليابانية. لكونه لم يكن يدري إن كان القبطان مخولاً باستلام مخابرات الراديو، ولكن بعد مناقشة الأمر مع آخرين من المحطة كاست قرروا أنهم في الواقع ليست لديهم السلطة بأن ينقلوا المعلومات. في الليلة الثانية، جعل القبطان الغواصة تظهر إلى السطح وسط القوة اليابانية تماماً. وتعرضت «بيرميت» لهجوم كثيف خلال الساعات الثماني والعشرين بينما بقيت في الأعماق واطفئت أجهزة التبريد.

بعد بضعة أيام كان هناك نداء قريب عندما قال قبطانها «هجوم»، قال وايت لوك، لقد انشغلت بمطاردة عقيمة لسفينة تجارية يابانية طيلة الظهيرة، وأخيراً وقبيل الغروب أطلقت طوربيدين على أقصى مداهما. بعد ثوان قليلة صدح صوت عبر الجهاز بأمر مخيف «أغطس! أغطس!» واحد من الطوربيدين، ظهر فيه عطل أصاب الأسلحة الأمريكية في وقت مبكر من الحرب، دار عائداً ومتجهاً بصورة مباشرة إلى الغواصة. استطاع وايت لوك أن يسمع صوت البراغي التي تدور عندما مر الطوربيد فوق الغواصة بعد لحظة. انتهت الرحلة المؤلمة للأعصاب في 7 نيسان، لكن ذلك لم يكن قبل مهاجمة بيرميت مرة أخرى، لكن هذه المرة من قاذفة دورية حليفة – «وهذا ما أثار سخط جميع من كان على متن الغواصة».

تم نقل الفريق الثالث الذي يرأسه لايت ويلر على الغواصة (سي دارغون) في 8 نيسان، وهو اليوم الذي استسلمت فيه قوات الحلفاء في باتان. تلقوا أذناً خاصاً بأخذ دواليب آلتهم «سيغابا» معهم، ولكن خلاف ذلك ينبغي ألا يحملوا معهم سوى ثيابهم على ظهورهم. وخلفوا معدات IBM ورائهم مع تعليمات للقوات المتبقية في كوريجيدار بأن يغرقوها في المحيط بعد خلط أجهزائها مع أجزاء غيرها من الآلات في صناديق تغليفها نفسها.

جرى قذف «الصخرة Rock» لشهر آخر؛ وصمدت حتى جاءت القوة اليابانية إلى الشاطئ في ليلة 5 أيار. في اليوم التالي فتح الجنرال جوناثان وين رايت، وهو خليفة ماك آرثر، مفاوضات للاستسلام. فإنه سيمضي مع بقية الجنود الأمريكيين والفلبينيين – الذين ما يزالون على قيد الحياة من آذار الموت في باتان – بقية حياتهم

في معسكرات اعتقال – خرج عناصر المحطة كاست في الوقت المناسب. خرج سرهم سالماً معهم، وهم قادرون على الاستمرار بمهامهم طيلة فترة الحرب من محطتهم التي أعدت حديثاً، وحدة راديو الأسطول، ميلبورن واسمها (فروميل)، وهي عملية مشتركة بين الولايات المتحدة واستراليا.

كان هناك نداءات أقرب من تلك في حماية أسرار تفكيك شيفرات الحلفاء. عند بضع نقاط خلال 1941 و1942، كان هناك مخاوف صغيرة عند لم تستطع الجامعات التي تدرب على تحليل الكتابة السرية لصالح جيش الولايات المتحدة وبحريتها مقاومة إطلاق أبواقها. ففي حزيران 1941 نشرت «أخبار خريجي جامعة إلينوي» صورة لسبعة من خريجها من ROTC الذين «هم الآن في قسم مخابرات الإشارة، مكتب الضابط الرئيسي للإشارة، واشنطن»، بعدما أتموا دراساتهم الخاصة في الكتابة السرية، في أواخر 1941 اتصلت البحرية بعدد من الزميلات القادة لتنظيم وإدارة مواد دراسية في تحليل الكتابة السرية، ولكن على الفور تقريباً وضعت على القائمة السوداء كلية بيمبروك من جامعة براون لإعلانها عن مساهمتها في المجهود الحربي. ونجح رادكليف وبراين مور، وسميث، وماونت هليوك، وويلسلي وغراوتشر في إجراء دوراتهم دون أن يقوموا بدعاية مماثلة.

أدى الخطر الدائم من تسرب الأخبار من الميدان، ما دام مزيد من الناس يوضعون حيث يعرفون، إلى صياغة قواعد معالجة «المخابرات الخاصة» في أواسط عام 1942. ففي 3 حزيران اقترح إصدار مقترحات إلى قيادة الميدان كافة:

1. تستخدم السرية العليا في التعامل مع المخابرات الخاصة، إن كانت من وثيقة أسيرة، أو رسالة معترضة، من أسير حرب، أو من عمل يعتبر سيئاً على أساس مخابرات خاصة، يجب أن يوقف شك العدو بوجود المصدر، وينبغي أن يوقف المصدر آنياً وربما إلى الأبد.
2. فهذا يؤثر على العمليات تأثيراً حيوياً على جميع الجبهات، وليس على الجبهة التي تقودها فقط.

obeikandl.com

3. تجنب إعطاء المعلومات كمعلومات إلى القيادات الدنيا واستخدم نقل الأمر العملياتي إلى القيادات الدنيا. إن كان نقل المعلومات ضرورياً فلا تذكر المصدر السري، واستخدم المقطع السابق ULTRA. وينبغي تسليم هذه الرسائل فقط إلى الضابط المحدد لفك تشفيرها من قبل الضابط المحدد ويستخدم فقط أعلى درجة تشفيير: يجب ألا يحتفظ بسجل للرسائل في القيادات الأمامية، ويجب إتلاف الرسائل بحرقها بعد قراءتها؛ وينطبق هذا على السفن في البحار.

4. وعند إعطاء موجز للطيارين استخدم المعلومات الرئيسية لنجاح العملية، ويكون ذلك مماثلاً للمعلومات التي يمكن الحصول عليها من مصادر أخرى.

5. إذا كان العمل على أساس مصدر، على القائد المحلي التأكد من العمل لا يمكن ملاحقته حتى المصدر فقط، الفائدة التكتيكية المؤقتة لا تسحق المخاطرة بكشف المصدر.

6. لا تجوز الإشارة إلى هذا المعلومات في الملخصات مهما كان تداولها محدوداً – ولا تُناقش.

كانت عبارة «المخابرات الخاصة» للاستعمال الداخلي فقط؛ وكانت تشير إلى الشيفرات من الدرجة العليا وإلى مكنات التشفير. وكانت تستخدم ULTRA لإشارات المخابرات التي تأتي من بليتشلي بارك؛ بينما كانت ZYMOTIC من أجل واشنطن ومن أجل محطات ميدانية أخرى. وأخيراً أصبحت ULTRA كلمة تضيف الشيفرات لجميع رموز وشيفرات العدو من الدرجة العليا، والوثائق التي تناقش نظرية تحليل الكتابة السرية، وكانت تختم نتائج تفكيك شيفرات العدو بحروف كبيرة «سري للغاية ULTRA، أو سري للغاية (U) ».

بعد أربعة أيام على مذكرة ترافيس، حدث ما يحتمل أن يكون أكثر تسرب وحيد في الحرب، وأثبت بصورة كافية ما كان يُقلق ترافيس. وصل القائد آرثر

obeikandl.com

ماك كولم، الذي كان يرأس قسم الشرق الأقصى في دائرة مخابرات البحرية، إلى مكتبه في مبنى وزارة البحرية في صباح الأحد 7 حزيران ليجد المكان «مزلزلاً». وكان السبب قصة الصفحة الأولى التي ظهرت في ذلك اليوم في جريدة «شيكاغو تريبيون» / وجريدة واشنطن تايمز هيرالد، وصحيفة نيويورك ديلي نيوز. تحمل تاريخ واشنطن وتجري مع قصص أخرى حول معركة ميدوي. وتبدأ القصة:

تلقت البحرية كلمة
عن خطة اليابان
للضرب في البحر

إن قوة القوات اليابانية التي تتحارب معها البحرية الأمريكية في مكان ما غرب جزيرة ميدوي فيما يعتقد أنه أعظم معركة بحرية في الحرب، كان ذلك معروفاً لدى دوائر البحرية الأمريكية قبل بدء المعركة ببضعة أيام، كشفت مصادر موثوقة في المخابرات البحرية هنا هذه الليلة.

وراحت القصة تعدد سفناً يابانية معينة تدخلت في العملية وذكرت أن الولايات المتحدة كانت تعرف أيضاً أن الحركة اليابانية ضد «قاعدة أمريكية» كانت تظاهراً.

فقد ماك كلوم أعصابه إذ وجد نفسه أنه المتهم الرئيسي في هذا التسرب. إندفع إلى مكتبه ليقارن قصة الجريدة مع نسخة تقييم المخابرات التي أرسلها الأميرال نيميتز إلى قادته في ميدوي، ووجد على الفور أنهما متماثلتان تماثلاً مدهشاً. فكلا الرسالتين تحمل بنوداً: «القوة الضاربة»، و«القوة الداعمة»، و«قوة الاحتلال» للأسطول الياباني، وذكرت كلاهما السفن بنظام متشابه، وكلاهما أخطأتا بكتابة الأسماء اليابانية خطأ متشابهاً في الأمكنة. ومع أن ماك كولم كان يدرك أن كشفه لحيازته على نسخة غير مفوضة قد يعرضه إلى مياه أكثر سخونة، أحس أنه بحاجة إلى نقل اكتشافه إلى رئيسه، الأميرال ت. س. وليكنسون، وهو مدير المخابرات البحرية. تذكر ماك كولم ما حدث بعد ذلك:

جذب [ولكنسون] الرسالة السرية من يدي وأخذ قصاصة الجريدة من يدي الأخرى وراح يسير في الصالة باتجاه مكتب الأميرال كينغ وأنا أمشي وراءه أقول بصوت عال: «انتظر، انتظر، انتظر، لا تأخذ ذلك معك». لم يعرني أي اهتمام – وكان قليل السمع على كل حال. ذهب إلى المكتب الخارجي، إلى مكتب كينغ وكان هناك [القبطان كارل هولدن] ضابط اتصالات كينغ. دخلت غرفة المكتب في الوقت المناسب لأسمع كارل هولدن يقول: «حسناً، إنهم لا يستطيعون الإشارة بإصبع نحوي. هناك خمس نسخ فقط من الرسالة، وليس النسخ الخمس جميعاً». وها هو ولكنسون يدخل إلى هنا ومعه النسخة السادسة».

لزمت البحرية الصمت حول هذا التسريب، وسارعت إلى تسوية الكارثة بإقامة اجراءات قانونية ضد صحيفة شيكاغو تريبون لمخالفتها قانون الجاسوسية. وكانت حركة سيئة لعدة أسباب، ليس أقلها أن الصحيفة المقاومة لروزفلت مالياً تأكدت من زيادة الاشتعال مع مزيد من الدعاية غير المرغوبة، وفعلتها. فصحيفة التريبون، التي تذكّر وراءها كل يوم على صدر صفحتها الأول بأنها «أعظم جريدة في العالم»، كان يريدها العقيد روبرت ماك كروميك الفظ والشاذ؛ فكانت من جهة صحيفة فضيحة، ومن جهة الصحيفة الناطقة بالآراء السياسية للعقيد الغريب الأطوار، وكانت تحمل في كل يوم تقريباً على صفحتها الأولى هجوماً على روزفلت وحكومته وسياسته المحلية والخارجية. (وكان للصحيفة مزاعم أخرى من أجل الشهرة وهي الحرب الصليبية الدونكيشوتية للعقيد لتبسيط تهجئة الكلمات مثل «tho»، «thru»، «Staf»، و«Jaz» و«agast»)*.

وقامت الصحيفة، في بعض المناسبات المبكرة، بطباعة وثائق حكومية سرية، وفكرت الحكومة أكثر من مرة بتوجيه التهم ضد ماك كورميك، في هذه المرة، اعتقدت البحرية كما يبدو أن اليابانيين لا يمكن أن يخطئوا القصة أو مضامينها، وعزمت أن تجعلها مثلاً للصحف مرة وإلى الأبد.

* التهجئة الأصلية: though، through، jazz، staff، aghast.

obeikandl.com

كان لجريدة التربيون يوم مشهود، فبعدما اتهمت الجريدة تحقيق هيئة المحلفين الكبرى للحكومة، كما «فهم روزفلت هجوم التربيون» حافظت الجريدة على القصة حيّة أسبوعاً بعد أسبوع، أعلنت المقالات الساخطة براءة الجريدة، وشرحت بأن مراسالها ستانلي جونسون، محب مخلص للسفن المقاتلة Jane's Fighting ships، وأخذ كل المعلومات لقصته من قراءته «لكتابه المقدس الشخصي». وأصبحت القضية كلها أكثر تعقيداً بسبب حقيقة مفادها أن وزير البحرية فرانك نوكس يمتلك الصحيفة المناوئة في شيكاغو، شيكاغو ويلي نيوز، اتهمت قصة في الصفحة الأولى في التربيون في 9 آب «نوكس بأنه يكسب 60000 دولار سنوياً من صحيفته و15000 دولار كوزير للحربية، وأضافت: «كم من الوقت يوظف في كل منهما، هو سر عسكري».

لم تأخذ تحقيقات البحرية وقتاً طويلاً في وضع تفاصيل حقيقة الموضوع معاً. كان جونسون على متن حاملة الطائرات ليكسينغتون أثناء معركة بحر المرجان؛ وكان مع عدد من الناجين من ليكسينغتون عائداً إلى سان دييغو على متن سفينة النقل بارنيت في وقت ميدوي. طلب ضابط كبير من المحاربين القدماء في بحر المرجان من ضابط الاتصالات إن كان يستطيع فك رموز الإذاعات إلى قوات الولايات المتحدة المشغولة في القتال الحالي حتى يعرفوا ما الذي يجري. لقد فعل ذلك. فقد تمكن من فعل ذلك لأن مخالفة كبيرة لقواعد الأمن قد حدثت: موجر نيميتز المخابراتي قد أعيد في مستويات دنيا من الرموز لمنفعة القادة الثانويين. جونسون وهو مغامر استرالي بشاربين (في الثلاثينات كان له عدة مطالب بالذهب في غابات غينيا الجديدة، إضافة إلى مطالب أخرى)، صادق ضباط السفينة على جناح السرعة، وراحوا يطلعونه على الإشارات أيضاً، وهذه مخالفة أمنية واضحة. ثم أكملت سلسلة أخطاء صغيرة الفشل الذريع، وقدم جونسون قصته ليحصل على موافقة الرقابة على ظهر السفينة؛ كانت واضحة. وصنف رسالته من سان دييغو، واعلم محرره بأن توضح قصته مرة ثانية، وهذه المرة مع قيادة البحرية في واشنطن؛ وقرر المحرر، بعد أن رأى أن القصة تشير إلى سفن العدو فقط وليس إلى تحركات قوات الولايات المتحدة، قرر أنها لا تحتاج إلى موافقة الرقابة وأجاز القصة.

مـع أن قـصة التربيـون لم تـذكر بـالواقع أن المخـابرات الأمريكيـة كانـت إشارات يابانية مفككة، فقد تفشت الشائعات في واشنطن بمثل هذه القصص، وأشـار عمـود ولـتر ونـشل في 7 تمـوز صـراحة إلى الـزعم «أن بحريـة الولايـات المتحـدة فككت الرسائل السرية اليابانية». بعد مضي بضعة أشهر على هذا، وعندما تبين أن اليابـانيين لم يغـيروا شـيفرتهم JN-25 كـرد فعـل لهـذا التـسرب – ومـع إصـرار المدعي العام لوزارة العدل على أنه إن كان سيتبع القضية، فسوف يكون على هيئة المحلفين الكبرى أن تسمع شهادة موظفي مخابرات البحرية حول عملية تفكيك الشيفرة وحول الضرر الكامن الذي ينتج عن كشف التربيون – كانت البحرية قد قامت بما كان يجب عليها أن تقوم به منذ البداية، وهنا تنازلت عن القضية.

--- --- ---

مـع أنـه لم يظهـر أن اليابـانيين قـد لاحظـوا بتـسرب التربيـون، فـإنهم قـاموا بالاستجابة إلى حركة من الولايات المتحدة بعد شهر، فأظهرت الأفكار المعاكسة والوحدة المرتبطة بمخابرات الإشارة. في 7 آب نزل جنود المارينز في غوادال كنال في جـزر سـليمان. لم يكـن هنـاك سـوى علامـة بـأن القـوات اليابانيـة هنـاك أولاً، وتم عمليات النزول دون أي مقاومة أو معارضة. واجتمع جنود المارينـز على الفور تقريباً غنيمة هي كتب الرموز اليابانية متروكة. وكانت الوحدة OP–20–G ومحطة هيبو (وسميـت الآن فروبـاك FRUPAC❖ تعمـلان بنـشاط محمـوم منـذ معركـة ميـدوي لكشف أحدث نسخة من الشيفرة JN–25 التي دخلت حيز التنفيذ في 27 أيار، قبيل المعركـة، النـسخة الجديـدة، وسميـت C–9، كـان فيهـا كتـاب الرمـوز الجديـدة وكذلك كتاب الإضافات. لكن كثيراً من الرسائل جرى تشفيرها بصورة خاطئة وذلك باستخدام الجداول الإضافية السابقة، وهذا سمح لمفككي الرموز بتحقيق تقدم سريع، وعادوا في أوائل تموز يرسلون رسائل مفككة. في مجرى الأحداث الطبيعي، يبقى كتاب الرموز الجديد مؤثراً لمدة تقترب من ستة أشهر. كان أسر جنود المارينـز للكتب كارثة. ذكر روشفورت: «لقد أرسلوا ذلك الشيء لي، وكل

❖ FRUPAC = وحدة راديو الأسطول في المحيط الهادي.

obeikandl.com

ما استطعت فعله هو أن ألعن سلاح المارينز. فكما ترون، كان ذلك آخر شيء كنا نريده. إننا لم نكن نريد أن نرى هذا الكتاب القذر. كنا نقرأ المادة. ولكن عندما أدرك اليابانيون اختفاءه، عملوا تغييراً كبيراً». في 15 آب، بعد شهرين ونصف فقط من استخدام الشيفرة JN-25C، جرى استبدالها بكتاب رموز جديد وكذلك جداول إضافات جديدة، إضافة إلى اجراءات عملية جديدة، وبدأت تلعب الوحدة OP–20–G لتلحق بالركب.

سبب عمل آخر متحمس في هذا الميدان فزعاً في الوحدة OP–20–G، وآرلنغتون هول، خاصة عندما حاولت بضع وكالات ذات اهتمام قليل في تفكيك الرموز الدخول في عمل التجسس والتجسس المضاد. فقد كان مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI متحمساً لأن يوسع دوره فيما وراء البحار وكان قد خطط ادعاءً بأن يحارب تجسس المحور في نصف الكرة الأرضية الغربي – وكان العقيد وليام (بيل البري) دونوفان ومكتبه للخدمات الاستراتيجية – مكتب OSS وهو السابق على مكتب CIA قبل الحرب – هو المدفع السائب، ويطالب بالوصول، إلى مخابرات ULTRA، ويخطط عمليات سرية مختلفة في الدول المحايدة والدول المعايدة، مما جعل محللي الكتابة السرية عصبيين جداً. حتى هيئة الاتصالات الاتحادية، ذات المسؤولية بموجب القانون لأن تحدد مكان محطات الراديو التي تعمل بصورة قانونية وتغلقها، حاولت الدخول في عمل مراقبة نشاط راديو العدو واصطياد الجواسيس.

منذ عام 1931، كان حرس الحدود يقوم باعتراض اتصالات الموجة القصيرة وتفكيكها، وكان أيضاً يسابق ليلعب دوراً قيادياً في تحليل الرسائل السرية لأجهزة عملاء العدو في النصف الغربي للكرة الأرضية. وكان حرس الحدود ينشر الرسائل التي يفككها إلى وكالات مهتمة بصورة روتينية، ويشمل ذلك وزارة الخارجية ومكتب FBI، ولكن في شباط من عام 1942 وبموجب أوامر من الوحدة OP–20–G – وفي زمن الحرب أصبح حرس الحدود جزءاً من البحرية – قرر بقطع الجميع ما عدا مكتب مخابرات البحرية والوحدة GC&CS، فقام بصنع علاقات عملية وثيقة، وكما حدث، فقد تأخر ذلك كثيراً، لقد تم اعتراض بضع مئات من

الرسائل التي بثها عملاء ألمان الحدود ليقوم بتفكيكها، ومن ثم إرسالها إلى FBI. ويقوم FBI بدوره بتقديمه إلى وزارة الخارجية التي تعيدها إلى الحكومة البرازيلية التي قامت في 18 آذار 1942، وبلحن عسكري عظيم، بجمع شمل العملاء الألمان الذين يشغلون محطات راديو سرية بطول البلاد وعرضها.

كانت عملية استخدام إشارات المخابرات لاعتقال الجواسيس واتهامهم حركة خرقاء مضاعفة: ليس وجود الخطر المعتاد لتنبيه العدو بأن شيفرته قد تمت قراءتها وحسب، ولكن أيضاً، إذا عرفنا أن معظم العملاء الألمان أشخاص غير ملائمين ولا يسببون أذى، فإن السياسة الأحسن هي تركهم في أماكنهم تحت الرقابة. اعتمدت مصلحة التجسس الألمانية (آبويهر Abwehr) اعتماداً رئيسياً على الأمريكيين الألمان من مؤيدي هتلر لاستخدامهم في شبكة عملائها في الولايات المتحدة، وكان معظم رسائلهم المعترضة تتألف من مدائح عاطفية تتخللها توسلات من أجل مزيد من المال مع قصاصات من أخبار ماضية. ففي إحدى الرسائل من ألمانيا إلى عميل في نيويورك جاء: «رسائلكم من 187 إلى 193 لسوء الحظ لا قيمة لها لأنها من تقارير صحفية قديمة»، وهكذا كانت الطريقة. في اجتماع عقد في 2 نيسان 1942، وافق مكتب FBI على عدم التحرك ضد الإذاعات السرية في الولايات المتحدة ما لم توافق على ذلك وزارة البحرية ووزارة الحربية؛ بعد بضعة أشهر من الصراع، اتفقت الوزارات الثلاث في 30 حزيران على أن تشترك البحرية ومكتب FBI في المسؤولية لفحص وتدقيق الرسائل السرية في النصف الغربي من الكرة الأرضية. (في الوقت ذاته، وافقت البحرية على نقل المسؤولية كاملة عن الرسائل الدبلوماسية اليابانية إلى الجيش، وبذلك تنهي أخيراً ترتيبات الأيام المفردة والزوجية؛ ونُقل العاملون في الوحدة OP–20–G، وعددهم ثمانية وثلاثون، الذين يقومون بمراقبة الآلة البنفسجية، إلى المشكلات البحرية اليابانية. لاحظت البحرية، بشكل صحيح، أن للجيش الشيء القليل فيما عدا العمل الديبلوماسي عند هذا الحد، بينما كانت الوحدة OP–20–G مشغولة في سعيها للحفاظ على الشيفرة البحرية اليابانية) وقامت الوكالات الثلاث أيضاً بتقديم مسودة أمر إلى

الـرئيس روزفلـت ليوافـق علـى إغـلاق المكاتـب الـصغيرة الـتي تعمـل في تفكيـك الـشيفرات في مكاتـب مـدير المراقبـة، وهيئـة الاتـصالات الإتحاديـة FCC، ودائـرة الخدمات الاستراتيجية OSS، وقام الرئيس بتوقيعها في 8 تموز.

لكن الصراع استمر، كما استمرت السفسفة. واللجنة التي يفترض أن تحل موضوع تقسيم العمل بين البحرية ومكتب FBI، عقدت بضع جلسات ساخنة ثم انحلت، واستمرت البحرية في سياستها برفض تقديم رسائل مفككة بحرفية كاملة. وعند إحدى المواضع هدد ج إدغار هوفر ببدء اعتقال العملاء الجانب في أمريكا الجنوبية وبإغلاق المحطات السرية، إذا تابعت البحرية سياستها بتقديم تفسيرات لرسائل العملاء فقط.

في هذه الأثناء مُنعت دائرة الخدمات الاستراتيجية OSS من تلقي ULTRA، وهذا جعل دونوفان يلقي كلمة مسهبة؛ طلب فيها معرفة إن كان «ولاء أو كتمان الأسرار أو الذكاء» لدى عناصره موضع تحقيق، أجابت هيئة الأركان المشتركة، بما أن العاملين في دائرة الخدمات الاستراتيجية OSS يضمون ممثلين من الجيش ومن البحرية، يمكن توزيع المخابرات الضرورية عن طريق هؤلاء، لكن الجواب الأصح هو، ربما لم يكن ولاء عناصر الدائرة OSS موضع شك، فإن كتمانهم للسر هو موضع شك. كانت واحدة من أسوأ الأخطاء أن تسرب من القنصلية اليابانية في ليشبونة في السنة التالية، وفيها أخذ عميل دون أذن رسالة مرسلة من قبل الملحق العسكري الياباني، في 5 أيار 1943، ووزعت دائرة الخدمات الاستراتيجية OSS بكل فخر على أقسام مخابرات الجيش والبحرية في واشنطن تقريراً حول «نوع المخابرات التي جمعها الملحق العسكري الياباني في ليشبونة»، وتابعت تقديم اقتباس من رسالة يابانية، جرى تفكيك شيفرتها في آرلنغتون هول قبل بضعة أيام، وتنقل أوضاع القوى العسكرية للحلفاء في تونس. وتبع ذلك خبر أسوأ، ففي 29 حزيران، عندما اعترضت آرلنغتون هول رسالة ما بين روما وليشبونة مرسلة بالشيفرة البنفسجية. كان السفير الياباني في ايطاليا يحذر زميله في البرتغال من أن قصة تدور في روما حول «وكالة تجسس أمريكية تعمل في ليشبونة، وهي لا

تعرف دقائق التفاصيل حول الأنشطة العسكرية اليابانية في ليشبونة فقط، لكنها أيضاً حصلت على كتب الرموز اليابانية، الخ». من حسن الحظ أن التحقيق الذي جرى ركز على الأمن المادي فقط، ورافق ذلك تأكيد السفير في ليشبونة على أن كتب الرموز لديه محفوظة ومغلق عليها وعلى البناء حماية جيدة، ولم تثر وزارة الخارجية في أي وقت أي أسئلة حول أمن الكتابة السرية للملحق العسكري الياباني – وهي الكتابة التي استطاع البريطانيون والأمريكيون في الواقع تفكيكها بعد جهد طويل. ولكن، نتيجة لهذه الحادثة، اقترحت رئاسة الأركان المشتركة على اللجنة المشتركة بين الولايات المتحدة وبريطانيا في 27 تموز بأن تمنع دائرة الخدمات الاستراتيجية ومصلحة مخابرات الإشارة البريطانية من «اختراق سفارات العدو أو المفوضيات أو مكاتب الملحقين في الدول المحايدة، إن اكتشاف العدو لمثل هذه الأنشطة سوف يؤدي بالتأكيد تقريباً إلى قيامه بجهود خاصة لتحسين أمن الكتابة السرية».

قامت هيئة الاتصالات الاتحادية بدور هاو أخير. لم يكن الجيش ولا البحرية سعداء لأن «قسم مخابرات الراديو» التابع لهيئة الاتصالات الاتحادية لا يزال يعمل كآذان لمكتب FBI، وراحا يسعيان إلى تحويل أعماله إلى الخدمات العسكرية، لكن عدم سعادتهما زادت بسبب سعي غير ناضج ودون خبرة من مراقبي الراديو في هيئة الاتصالات الاتحادية ليلعبوا دور ضابط مخابرات. في هاواي أصدرت الهيئة FCC عدداً من التقارير اللاهثة حول جهودها لمعرفة موقع مصادر البث التي ترسل «شيفرة يابانية من نوع جديد». انتقل موقع مصادر البث الغامضة من يوم إلى يوم وسبب ذلك إثارة كبيرة حتى اكتشفت البحرية أن الهيئة FCC كانت في الواقع تتابع بوالين الطقس التابعة للبحرية. في آلاسكا والساحل الغربي، أصدر مراقبو الهيئة FCC تحذيرات عديدة باقتراب مجموعات يابانية، وهي التي تعلم الجيش والبحرية بكل بساطة تجاهل هذه التقارير. ولكن بعد ذلك ذهب تحذير من المحطة الميدانية للهيئة FCC إلى الساحل الغربي إلى العاصمة واشنطن دي سي، حيث نُقلت إلى السلطات الكندية التي قامت ببثها إلى الساحل الغربي الكندي حيث التقطتها

قوات الولايات المتحدة التي كانت تنسق مع الجيش الكندي في الدفاع عن نصف الكرة الأرضية، وصدر قرار بالاستنفار العسكري. أكد نوكس وستيمسون على هذا المثال وعلى أمثلة أخرى على أنها حجة جيدة لإبعاد الهيئة FCC عن هذه اللعبة مرة وإلى الأبد، لكن الرئيس قال عن مراقبي الهيئة FCC إنهم يؤدون عملاً قيماً لوكالات مدنية متعددة، لا سيما مكتب FBI، ورفض توقيع اقتراحهما. كان العزاء الوحيد أن كل هذا السباق البيرقراطي لم ينتج عنه تسريبات أسوأ كثيراً، كما كان يمكن أن يحدث بسهولة.

--- --- ---

تحركت البحرية سريعاً بعد تسرب ميدوي لتحسين الأمن، ويسجل لها أنها فعلت ذلك باستخدامها مبضع الجراح بدلاً من استخدام الهراوة. وكانت خطوتها الكبيرة أنها تبنت التعليمات التي اقترحها ترافيس كلمة بكلمة حول استخدام ULTRA ونشرها، وصدر أمر من الأميرال كينغ في 20 حزيران 1942 إلى قادة أساطيل المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ وإلى قوة جنوب غرب المحيط الأطلسي، وقد بدأت «لقد تبين مراراً الأهمية الكبيرة لاستخبارات الراديو كمصدر موثوق لمعلومات العدو. ولا يوجد مصدر آخر سوى الاستخبارات يمكن بواسطته التوصل إلى نوايا العدو إيجابياً». ومن ثم أوضح كينغ أهمية الحاجة إلى التوصل إلى التوازن الأساسي: «إن أي كشف في الماضي يتعلق بمخابرات الراديو أدى إلى نتائج أكيدة في تغير مباشر في اتصالات العدو وبالتالي إلى ضياع الأسابيع أو الأشهر من الجهد المضني بين عناصرنا في مخابرات الراديو. من المعروف طبعاً أن مخابرات الراديو لا قيمة لها ما لم تستخدم في العمليات استخداماً صحيحاً. ولكن الفائدة التكتيكية المؤقتة نادراً ما تستحق المغامرة بإفشاء المصدر». ومضى ليصف قواعد الإجراءات التي اقترحها ترافيس حول كيفية التعامل مع ULTRA وكيفية توزيعها.

تحرك البريطانيون أيضاً لسد ثغرات التسريب وهم يقاومون رغبة في تغليف السفينة بكاملها بالاسمنت. وظهر خطر خاص في أواخر شهر آب عندما قرأ الكوخ 3 رسالة أعلن فيها الجنرال إيروين رومل بأنه ليس على ما يرام وأنه طلب

اعفاءه من عمله كرئيس لقوات افريقيا بينما يأخذ «إجازة طويلة جداً». بعد أسبوع من إشاعات مرض رومل التي بدأت تظهر في الصحف، واهتم تشرشل إلى درجة أنه أمر بإجراء تحقيق رسمي حول هذا التسريب، وكانت الحقيقة أن أخباراً سارة كهذه من المعلومات الداخلية هي من النوع الأكيد الذي لا يستطيع أحد مقاومة الحديث عنه، وصدرت مذكرة في 12 أيلول تضع إجراءً جديداً حيثما ترد «أحاديث» في الرسائل المعترضة: ينبغي على الكوخ 3 ألا يرسلها على الطابعات البعيدة إلى الوزراء في وايت هول، ولكن ينبغي طباعة أربع نسخ منها، ويرسل ثلاثاً منها في حقيبة إلى (سي C)، وواحدة إلى ترافيس، ويكتب عليها «شخصية».

كانت الحقيقة أن هناك عدداً صغيراً ومدهشاً من التسريبات من مؤسسات تفكيك الشيفرات ذاتها، على الرغم من اختلاف الطرق المستخدمة لحماية وتأمين سلامتها، وفي بعض الأحيان تكون هذه الطرق مضحكة. فالإجراءات الواضحة كالسياج والحراس والبطاقات كلها أصبحت مؤسسة وثابتة، والذكرى الواضحة بالنسبة لكثيرين في آرلنغتون هول هي التدريب في نهاية النهار على تفريغ حاويات القمامة في أكياس كبيرة من القماش، وعلى البحث في أوراق السكاكر والمحارم الورقية بواسطة مسطرة خشبية طويلة للتفتيش عن أي وثائق مصنفة قد تكون وصلت بطريقة ما إلى هنا.

ولكن كان يوجد دائماً أخطاء وفجوات أمنية. أرسل شخصان من WAC بثياب مدنية لاختبار الشؤون الأمنية في آرلنغتون هول، فتمكنا من الحصول على بطاقات الزوار من غرفة الحرس، وراحا يمشيان في المبنى، وسرقا بطاقتين من بطاقات العاملين، ومن ثم تجولا دون أي عوائق أو صعوبات في أبنية العمليات، والتقطا عدداً من الوثائق السرية جداً. في كل من آرلنغتون هول وملحق اتصالات البحرية، كان العاملون في تفكيك الشيفرة مضغوطين لتنفيذ واجب الدليل والمرافقة حتى أصبحت الأخطار الواضحة من وجود أشخاص يتجولون في البناء بأسلحتهم النارية، ولكن دون تدريب على الأسلحة النارية، وأصبحت جلية. تكرر أكثر من مرة أن انقطع الهدوء ليلاً بسماع طلقات نارية في آرلنغتون هول عندما أوقع أحد هؤلاء الحراس في الليل

obeikandl.com

مسدسه، واختلطت عليه الأمور إن كان المسدس محشواً أو غير محشو. لكن البحرية في معظم الأحوال تتبأت بمثل ذلك فوضعت إجراء أشد، فعند ملحق الاتصالات فرزت دورية من المارينز لتراقب السياج المؤلف من خطين من الأسلاك الشائكة. ولا شك في أنهم قاموا بعملهم بصورة جدية. والمتسللون الوحيدون والذين حاولوا التسلق والدخول من فوق السياج كانوا «أبناء الأخوة» من الجامعة الأمريكية التي كان بناؤها يقابل الملحق من الطرف الآخر للشارع. وتخلى الأولاد عن هذا الطقس بعدما شرح القائد إلى رئيس الجامعة بأن رجاله من المارينز يحملون مدافع رشاشه وأنهم سيستخدمونها. والقلق الآخر الذي أصاب القائد المتعلق بالأمن المادي للأراضي جاءه فيما بعد أثناء الحرب، وذلك عندما أعلمه معاون وزير البحرية بأن ابنته، التي درست في ثانوية ماونت فيرنون والتي كانت على وشك الزواج، ترغب في إقامة عرسها في كنيسة مدرستها القديمة. وكنيسة مدرستها القديمة هي الآن كنيسة البحرية، وصادف أنها الآن تقع ضمن المنطقة الأمنية المسيجة وليست أبعدمن 30 متراً عن البناء رقم 4، حيث توجد «قنابل» البحرية السرية جداً. قال القائد إنه آسف، ولكن بالنظر إلى المشكلات الأمنية فإن ذلك مستحيل. ولكن ألغي قراره: العرس سيستمر. وصل المدعوون في اليوم المحدد ليجدوا الكنيسة يحيط بها صف من المارينز يحملون مدافعهم الرشاشة. وبعدما تم تدقيق أسمائهم في قائمة. سُمح لهم بالدخول، الواحد تلو الآخر، عبر فتحة تم قطعها في السياج المحيط. ووقف رجل المارينز يحرسون طوال الاحتفال، وعندما انتهى أعيد إغلاق فتحة السياج.

وكان هناك فحوص أخرى أيضاً مثل التخلص من المتعاطفين مع الألمان تعاطفاً واضحاً وكذلك الشيوعيين (مع أن بليتشلي بارك طبق قاعدة كريمة من الحس العام حتى هنا، فبينما يوجد قانون ضد توظيف أي شخص ولد أبواه في ألمانيا، فقد حصلت بعض الاستثناءات المشهورة. فقد ولد ولتر غيتان وأخوه إرنست Ernest كلاهما في ألمانيا، لكن القوة التي يمكن الحصول عليها هي الإدراك الذي سيتحقق هو كونهم يهوداً فمن غير المحتمل أن يكونا مؤيدين لهتلر، وأصبح كلاهما مترجمين في الكوخ 4.

تذكر باتريك ولكنسون، الذي كان يعمل في شيفرة البحرية الإيطالية، ذات مرة أنه استدعي إلى مكتب دينيستون وسئل عن شخص معين. قال دينيستون: «نعلم أنه شيوعي، لكن هل هو شيوعي من النوع الذي قد يخون بلاده؟» لم يكن مكتب FBI بهذا الذكاء عند دراسته للناس الذين يعينون في الوحدة OP–20–G. في أواخر الحرب، كان يتسلل إلى كل من بليتشلي بارك وآرلنغتون هول جاسوس سوفيتي لكل منهما على الأقل.

لكن ترافيس ونظراءه الأمريكيين يدركون تماماً، في الواقع، إن التهديد الأكبر كثيراً للسرية من تسلل الجواسيس من فوق السياج هو الطبيعة البشرية. فمن الصعب بصورة خاصة على الشباب ذوي الأجسام القوية أن يقاوموا الإثارة للتبجح أمام عائلاتهم وأصدقائهم حول أهمية وعظمة ما يفعلونه عندما يبرز السؤال الذي لا غنى عنه، سواء قيل أم لا، لماذا لا يحاربون وراء البحار. العدو الحقيقي هو الشائعات والمعرفة العامة. في بليتشلي بارك يطلب من الموظفين الجدد التوقيع على قانون الأسرار الرسمية، ويطلب منهم ألا يتحدثوا عن أعمالهم إلى أي شخص كان بمن فيهم أفراد عائلاتهم المقربين حتى يوم مماتهم. والمتطوعات* اللواتي يصلن إلى ملحق الاتصالات البحرية، يوجهن إلى كنيسة البحرية ويلقى عليهن محاضرة تثقيف وغرس أفكار تصل إلى حد التهديد – الذي تذكره كثيرات منهن بوضوح حتى بعد نصف قرن – بإطلاق النار إذا تنفسن بكلمة عما يجري داخل السياج. في أغلب الأحوال، كان هذا آخر ذكر للأمن، وكان هذا كافياً، لقد احتفظ آلاف من العمال من خلفيات ثقافية واجتماعية مختلفة بأسرارهم، ليس في زمن الحرب وحسب، ولكن لمدة عقود من الزمن بعدها، ويعود ذلك بشكل جزئي إلى الأوقات، وبشكل جزئي إلى الثقة بالحكومة التي لم تتلوث. قال ولتر إيتان إن زوجته وجدت من الصعب أن تتزوج من رجل لا يخبرها عما يفعله في الحرب؛ وفي أواخر السبعينيات، عندما أفرج عن المعلومات حول عمل بليتشلي بارك، اندهش عدد

* Women Accepted for Volunteer Emergency Service النساء المقبولات لعمل الطوارئ تطوعاً (المتطوعات). (WAVES).

كبير من الأزواج عندما عرفوا أن لزوجاتهم دوراً في أسرار الإنيغما التي بدأت تظهر إلى النور.

كان العاملون يتلقون تدريباً خاصاً حول كيفية الاستجابة لأسئلة العائلة والأصدقاء، وذلك كي يتجنبوا مثل هذه الأسئلة المحتومة. فإن كنت موظفاً في الوحدة OP–20–G، يمكنك أن تقول إنك تعمل في «الاتصالات البحرية». وُزعت نشرة في بليتشلي بارك تنصح فيه بالحوار التالي:

سؤال: ماذا تفعل الآن؟

جواب: أعمل في وزارة الخارجية (أو أي وزارة أخرى مناسبة).

سؤال: ولكن، ماذا تفعل؟

جواب: آه – عمل.

واستخلصت المذكرة: «إن التكتم المرح في هذا المجال سوف يكسبك احتراماً حقيقياً من أولئك الجديرين بالاحترام أكثر كثيراً من الطيش التافه أو نظرات أهمية الذات الغامضة». وحذرت المذكرة ذاتها: لا تتحدث أثناء الطعام، ولا تتكلم في وسائط النقل، ولا تتحدث أثناء السفر، ولا تتكلم في المكان المخصص لسكنك، كن حذراً حتى في كوخك («مع عمال النظافة والصيانة فلهم آذان وهم بشر») ولا تتكلم وأنت بجانب موقدك («إن كنت غير متحفظ وأخبرت عيالك، فإنهم قد لا يرون سبباً كيلا يفعلوا الشيء ذاته. وفضلاً عن ذلك، إذا جاء الغزو في يوم ما، كما يمكن أن يحصل تماماً، فقد لا تتوقف وحشية النازيين، عن شيء ما، لاستخلاص الأسرار التي أعطيتها لأولئك الناس، ومن ثم تكون قد أنقذتهم لأنهم لا يعرفون شيئاً. فسوف تعتمد سلامتهم على جهلهم المطبق بعملك»).

كلّف ضابط أمن في بليتشلي بمهمة صعبة، وهي أن يقوم بجولة كاملة على الملاهي والفنادق والنوادي، فوجد قلقاً كثيراً حول ما يجري داخل البارك، وبعض الشكاوى حول كل هؤلاء المدنيين الذين يتهربون من الخدمة العسكرية، ولكنه لم يجد أي معرفة حول العمل ذاته. ومع أن هناك مخالفات ثانوية من الرؤساء الذين

obeikandl.com

يتحدثون إلى العاملين في محطة بليتشلي، سُجلت مخالفتان أمنيتان خطيرتان فقط وقد ارتكبتا عن عمد. وحدثت المخالفتان في أوائل عام 1942. في واحدة منهما أبلغت امرأة عائلتها عما كانت تعمله، وردد ذلك أحد أفراد العائلة في حفل كوكتيل. وفي الحالة الثانية، كشف عامل من بليتشلي بارك «واحدة من أكثر المهمات حيوية تعمل بها المنظمة»، وذلك في حديث بعد العشاء في غرفته العامة القديمة في أكسفورد. (من حسن الحظ، كما لاحظ ولتر إيتان، «كان هناك أناس عاقلون فاحتفظوا بالسر لأنفسهم» في تلك المناسبة). أرسل ترافيس مذكرة مخيفة إلى كل من يعمل في بليتشلي بارك يلخص فيها الحالتين ويذكر أنه تم التحقيق ورفع الأمر إلى مدير المدّعين العامين الذين توصلوا إلى وجود دليل كاف للإدانة بموجب قانون الأسرار الرسمية؛ لكن تدخل (سي C) فقط، «وهو من رغب في منع اهتزاز ثقة العامة بالمنظمة»، أنقذهم من الإتهام والإدانة والسجن. وحذّر ترافيس بأن هذا التسامح لن يتكرر.

كان المبدأ الأساسي للأمن في بليتشلي بارك وآرلنغتون هول وملحق الاتصالات البحرية، والأكثر فاعلية هو «التقسيم إلى حجيرات». وكانت القاعدة الرئيسية «الحاجة للمعرفة»، فإن لم تكن تحتاج، فإنك لن تعرف. كانت غرف «القنابل» في بناء البحرية رقم 4 منطقة محظورة فحتى على العاملين في الوحدة OP–20–G الذين يحملون التصاريح من أعلى المستويات، لكنهم يعملون في مشكلات مختلفة. لم يعرف كثيرون بوجود «القنابل» إلا في السنوات الأخيرة. وذهبت الوحدة OP–20–G إلى أبعد من ذلك لتتأكد من أن الذين يعملون على اكتشاف الإضافات في الشيفرة اليابانية JN-25، لا يعرفون أي شيء عن مضمون الرسائل ذاتها؛ فكانوا يُحذرون حتى من دراسة اللغة اليابانية أو شراء القواميس. وتُركت تلك الدرجة من «التقسيم إلى حجيرات» بعد السنة الأولى عندما تبين أنها من المحتمل أن تهزم ذاتها – وأنها غير ضرورية، لأن السر الحقيقي لم يكن في ما تقوله الرسائل، ولكن السر الحقيقي هو حقيقة أن البحرية تعالج الشيفرة JN-25 معالجة ناجحة حقاً. لكن العديد من أكثر المشاريع حساسية كانت تخفى عن أنظار العاملين في أقسام أخرى، ومبدأ ألا يسأل المرء زميله عن عمله أصبح طبيعة ثانية. في بليتشلي بارك قائمة مماثلة بأسماء الناس الذين يُسمح لهم

بالدخول إلى الأكواخ 8 و6 و4 و3. لم تكن المشكلة الرئيسية في فرض «التقسيم إلى حجيرات» مشكلة داخل البارك نفسه، ولكنها في موظفي الاستخبارات في الخارج وهم من حاولوا تحطيم الأبواب. وكان على ترافيس والموظفين الكبار أن يمنعوا الزوار الكبار من الوصول إلى الأماكن الحساسة بصورة متكررة، وفي إحدى المناسبات المشهورة أبلغ الموظفون الكبار من بليتشلي بارك (سي C) أن ضابطاً يدعى القبطان هيو تريفور – روب، الذي كان يعمل في الجاسوسية المضادة، قد مُنع من دخول الموقع بعدما تبجح بدخوله إلى الكوخ 3 والكوخ 4. (خلصت المذكرة الموجهة إلى (سي C) إلى «لأنه ليس شخصاً مناسباً لأعطيه، بحسب ما أراه حتى الآن، حرية التجول في الكوخ 3 والكوخ 4»). فيما بعد، أنشئت غرفة حرب أمريكية وبريطانية مشتركة في لندن تعمل بصورة خاصة في الجاسوسية المضادة، وكان تريفور – روب واحداً من عدد صغير من الضباط الذين سُمح لهم بالمجيء بضع مرات في الأسبوع ليطلع على المواد المتعلقة بالآلة ULTRA المحفوظة هناك.

--- --- ---

المصدر الآخر للأمن هو آلة ULTRA ذاتها. فقد كانت نافذة ليس على خطط العدو العسكرية ونواياه فقط، ولكن على مخاوفه وشكوكه أيضاً، وهي بذلك كانت خط الدفاع الأول ضد التسريبات المتعلقة بعملية تفكيك الشيفرة عند الحلفاء. بعد التحذير من الشائعات المتعلقة بمرض رومل بوقت قصير، كشفت رسالة مفككة من الإنيغما في 11 أيلول 1942 أن الألمان مرتابون جداً إذ علموا من أسير حرب بريطاني أن الجيش الانكليزي الثامن قد علم مسبقاً تاريخ هجوم المحور وخطته على وادي الحلفا (Alam el Halfa) في الصحراء غرب القاهرة، والذي بدأ في 31 آب. استلم قيادة القوات البريطانية ذات المعنويات المنهارة الجنرال برنارد مونتغمري في 13 آب، وحدد حالاً الوضع التكتيكي وبدأت جولة قوية من بناء الثقة. وكان لديه سبب وجيه ليكون واثقاً، فقبل أربعة أيام فقط من هذه المهمة تلقى رسالة مفككة من الوحدة GC&CS عن خطط جيش المدرعات البانزر Panzer الكاملة. وفي صيف 1942 كان بليتشلي بارك يقرأ المفتاح الرئيس لإنيغما

جيش رومل (تشافينش)، وفي الغالب بعد يوم واحد؛ كما قام باختراق «العقرب»، وهو مفتاح خاص بالقوى الجوية، ويستعمل للتعاون ما بين الجيش والقوى الجوية، وكانت هذه الرسائل تعترضها وحدة خاصة من GC&CS وتفككها، وكانت قد أرسلت إلى القاهرة وهو الوقت الوحيد خلال الحرب كلها، سمحت الوحدة GC&CS باعتراض رسائل الإنيغما وتحليلها ميدانياً. (وأصبح تفكيك «العقرب» سهلاً بصورة كبيرة عن طريق الاكتشاف المدهش حيث تنسخ الإعدادات اليومية لكل شهر، وقفلها وخزنها ونعرف من قوائم رئيسية من مفتاح آخر للقوى الجوية – البريمورس، Primorse الذي استخدم في الشهر السابق. إذا تم تفكيك اليوم الأول لسكوربيون (العقرب) في كل شهر، لم تكن هناك أي حاجة إلى قنبلة أخرى لقراءة رسائل كل يوم). تذكر ضابط المخابرات إدغار ويليام في جيش مونتغمري أن مونتغمري «المؤمن أن ثقة رجاله أمر ضروري للنصر، قال لهم مؤكداً كيف سيُهزم العدو. إن المعنويات التي برزت من الوعد الذي تم تنفيذه إيجابياً شكّل خلفية نفسية تشكل النصر الذي سيتبع (في العلمين) ». وعزا مونتغمري المعلومات التي نقلها إلى جنوده إلى «أسير حرب إيطالي». عندما قام رومل بهجومه، كان رجال مونتغمري مستعدين تماماً، وكانت الدبابات الألمانية هدفاً لهجمات القوى الجوية الملكية وهي تمر عبر حقول الألغام البريطانية، ومن ثم أجبرت على التوقف بواسطة المدفعية والدبابات المكثفة التي ركزها مونتغمري على تلة وادي الحلفا. كان ذلك نصراً مشهوداً لآلة ULTRA؛ وحقن دفعاً ضخماً من الثقة في الجيش الإنكليزي؛ وجعل مونتغمري يبدو عبقرياً؛ وفي الدائرة الصغيرة من العارفين في جيش الصحراء سبَّب ثورة في المواقف تجاه استخبارات الإشارة.

لكن نقل المعلومات إلى المستويات الدنيا يضع المشكلات ذاتها دوماً. وكان يسمح لمونتغمري وضابط مخابراته ورئيس أركانه فقط رؤية إشارات ULTRA «عارية»؛ ولم يتم التخلص من ضباط المخابرات على مستوى الأسلحة، ويتعلقون بكل شيء يخرج من القيادة العامة للجيش حول تقارير أسرى الحرب فتثير خطر كونها تظاهراً واضحاً، أو تشوه الثقة بجودة المخابرات في عيون الذين يتلقونها.

كان الحل سلسلة من الغمزات وهز الرأس تسمح لضباط مخابرات القطعات أن يعرفوا أننا لدينا «شيئاً في كمنا»، كما قال وليام، بينما يحافظون على «التقليد المؤدب الذي تعود العاملون في مخابرات الجيش على القيام بالتقييم الصحيح وذلك بفضل عنصر ملحوظ في تجملهم الفطري».

كانت قصة أسر الحرب جيدة للجنود. لكنها لم تكن جيدة بالنسبة للألمان عندما سمعوا عنها من التحقيق منع الأسرى البريطانيين، وبدأ الألمان تحقيقاً أمنياً حالاً. أصبحت قراءة رسائل العدو في الحال المماثلة لهذه نعمة ولعنة، لأنها بطبيعتها بالذات عرضت لعبة المخابرات إلى الخطر الأفكار حيث لا يبتعد جنون الشك أبداً. بدأت وحدة GC&CS تخيل كل أنواع التقاطعات الثنائية أو الثلاثية وترسل تحذيراً إلى قيادات الشرق الأوسط بأن الألمان قد ينصبون فخاً وذلك بإرسال رسالة إنيغما كاذبة عمداً:

لدينا دليل لا يخطيء بأن الألمان منزعجون كثيراً بسبب معرفتنا بالحالة العامة للمحور وخاصة حالة التموين على جبهتكم. إنهم يجرون تحقيقاً خاصاً حول مصدر أمن QT. يقف الأمر في حالة من التوازن.

يجب تحذير كل من يتلقى استخبارات QT بصورة خاصة، ويجب تقوية نظام أمن صارم. إن الحذف من المادة المعطاة إلى الصحافة، ونشرها في ملخصات المخابرات، مهما كان التمويه المختار، أمر أساسي. وإمكانية أن يضع العدو الفخ ليؤكد شكوكه أمر محتمل. وقد يكون الفخ تمرير معلومات خاطئة عن الموقع لا سيما الهدف المهم، أو عن حقيقة أخرى تجعلنا نغير من تحركاتنا التكتيكية... أمر حيوي الآن هو تجنب تعريض المصدر للخطر من أجل مكاسب صغيرة.

في الواقع لم يلجأ الألمان إلى مثل هذا الذكاء. لكن الأفكار القائمة على الشك يمكن ممارستها على الحلفاء إضافة إلى الأعداء، ولأن قراءة شيفرة العدو كانت طريقة لمعرفة ما يستطيع العدو قراءته من شيفرة الحلفاء، غالباً ما تصبح الأمور معقدة. من حادثة معقدة وقعت في الشرق الأوسط في 1942 زادت من شكوك

الأمريكيين بالبريطانيين، عندما علم البريطانيون بواسطة ULTRA أن الألمان قد فككوا شيفرة الملحق العسكري الأمريكي وكانوا يقرؤون الرسائل التي يرسلها من القاهرة إلى واشنطن العقيد فرانك بونر فيلارز، الملحق العسكري. كانت المشكلة دقيقة. في 25 شباط 1942 كتب تشرشل إلى روزفلت اعترافاً يسترعي الانتباه: «فيما مضى. . ادعى خبراؤنا أنهم اكتشفوا النظام وقاموا بتركيب بعض الجداول التي استخدمها السلك الدبلوماسي لديكم. ومن اللحظة التي أصبحنا فيها حلفاء، أصدرت تعليمات بوجوب إيقاف هذا العمل». أراد تشرشل من لفت انتباه الرئيس إلى الموضع أن تحذيره من أن شيفرة وزارة الخارجية ينبغي أن يشدد عليها، وفهم الأمريكيون هذا بالروح ذاتها. لكن الشكوك كانت تخطر، وعندما أعلم البريطانيون، في حزيران 1942، واشنطن بأن شيفرة القاهرة قد تم اختراقها، تحركت عقدة الشك القومي لدى محللي الكتابة السرية ودفعتهم إلى العمل. والشيء الذي جعل الأمور أسوأ هو اعتراض الوحدة GC&CS لرسائل الإنيغما تتعلق ببعض التعليمات المحرجة لفيلار بشكل خاص. كانت بعض الرسائل، التي تحوي تقارير من المخابرات إلى قادة العمليات الألمان كتب في بدايتها «تقارير مصدر جيد»، وهي تنقل معلومات عن الأمر البريطاني للمعركة وتفاصيل داخلية أخرى. وفي 29 أيار 1942، ذكرت رسالة أخرى، ذكر عليها «مصدر موثوق جداً»، وفيها اقتباس من تقرير أمريكي بتاريخ 16 نيسان الذي ينتقد بشدة سلاح الطيران الملكي لإخفاقه في صيانة الطائرات الأمريكية بشكل صحيح. ومن ثم جاءت الرسالة الأشد إحراجاً، وهي تنقل عن فيلار ذمه للأداء العسكري البريطاني في مصر، وتنبؤه بأن رومل يستطيع الوصول بسهولة إلى دلتا النيل إن هو تابع هجومه.

بينما قامت مصلحة مخابرات الإشارة SIS بتشديد الإجراءات الأمنية، وإرسال آلة سيغابا SIGABA إلى القاهرة، شك العقيد ماك كورماك وآخرون بالأمر، وتساءلوا إن كان البريطانيون لا يقرؤون التقارير الألمانية عن رسائل فيلار حقاً، بل يقرؤون رسائل فيلار نفسها. وكان هناك شك آخر في أن هناك خطة محكمة لمعرفة أشياء أكثر عن الآلة سيغابا، التي أراد البريطانيون أن يشاركهم الأمريكيون فيها، لكن

الأمريكيين كانوا متحفظين جداً وحساسين جداً بشأنها، وخلص ماك كورماك في النهاية إلى أنه لا توجد حيلة، ولكن خلال ذلك الوقت تصاعدت المشاعر السيئة بسبب التهم التي كالها الأمريكيون إلى بليتشلي بارك.

كان التعامل مع الروس، الذين تأتي الشكوك منهم طبيعية، أكثر احتيالاً وخداعاً. لقد فشل الروس في تبادل الثقة التي أبداها تشرشل في إرساله إلى موسكو مخابرات مشتقة من الرسائل المفككة من الإنيغما؛ ولما واجهت قواته نكسة أو تراجعاً، لجأ ستالين إلى الصمت ولم يقدم أي معلومات عن القتال مطلقاً. ولقد تجاهل الروس الطلبات البريطانية حول معلومات فنية عن الأسلحة الألمانية التي وقعت في أيديهم وعن هوية بعض الوحدات الألمانية، وعن العمل العسكري الروسي، حتى عندما أمطرت الحكومة السوفيتية البعثة العسكرية البريطانية بأسئلة عن معلومات حول القوة الألمانية ونوايا القوات الألمانية. كانت أكثر المعلومات الموثوقة والكاملة التي حصل عليها البريطانيون حول نظام المعركة السوفيتية جاءت من تقارير مخابرات ألمانية مفككة، إلى حد بعيد. تجول السفير أوشيما على الجبهة الروسية عشرة أيام من تموز وآب 1942، وصنف تقريراً مفصلاً قام آرلغتون هول بتفكيكه، وقدم هذا التقرير تفاصيل أكثر عن القتال مما قدم ستالين إلى حلفائه.

لكن الروس قدموا مساعدة صغيرة وحاسمة، وهي نسخ عن رسائل ألمانية للشرطة والجيش تم اعتراضها، وهي إشارات لا يمكن التقاطها في إنكلترة، وبالمقابل قدمت الوحدة GC&CS، بواسطة الممثل البريطاني في موسكو، تعليمات حول كيفية حل الشيفرة اليدوية للشرطة، وبعض المعلومات الهامة حول اجراءات الراديو الألماني، ولكن الروس ظلوا يضعون الصعاب في طريق مزيد من التعاون، وفي 16 تشرين الأول 1942 نقل الممثل البريطاني في موسكو أن الروس «عادوا إلى الطرق السيئة القديمة ولم أجتمع بهم لمدة أسبوعين مع العلم إنهم يعرفون أن لدي معلومات مباشرة لهم». في كانون الأول، قال الروس: ينبغي أن لا يستمر التعاون حول مخابرات الراديو؛ وأخبر الممثل البريطاني لندن بأنه لم يقدَّم أي تفسير، ولكن من المحتمل أن الروس «لا يستطيعون الاستمرار بصورة غير محددة دون أن يظهروا

يدهم، وليس فيها إلا القليل». بعد بضعة أسابيع أوقفوا تدفق الرسائل المعترضة من الشرطة الألمانية، وهذا حدَ من قدرة بليتشلي بارك على تفكيك الرسائل من بعض دوائر الشرطة. في شباط 1943، أغلق الروس فجأة محطة صغيرة للاتصالات واعتراض الرسائل، كان قد سمح للبحرية الملكية بإنشائها في بوليارنو بالقرب من مورمانسك لدعم قوافل المحيط الشمالي التي طلبها ستالين بصوت صارخ.

كان البريطانيون لا يزالون راغبين في الاحتفاظ بالكرة تدور، لكن المشكلة الرئيسية لم يكن العناد الروسي بقدر كبير، لأن الدليل المستمر من آلة ULTRA بأن الألمان يقرؤون الشيفرة الروسية. وكان من الصعب معرفة ما الذي ينبغي عمله، لأن الروس لن يتخذوا أي خطوة لتشديد الإجراءات، لكنهم في الوقت نفسه يطالبون بمزيد من التفاصيل عن الدليل البريطاني – وهذا ما يكره البريطانيون تقديمه، لأنهم لا يريدون إخبار موسكو عن نجاحهم في قراءة رسائل الإنيغما. كانت إحدى الأفكار أن يرسل إلى الروس مقالة «نظرية» حول كيفية تفكيك شيفرتهم حول الطقس، لكن الخطر الواضح يكمن في أن الروس قد يفهمون ذلك على أنه الدليل بأن البريطانيين هم من يفكك شيفرتهم. (تنفيذاً لأوامر تشرشل، أصدر المكتب Y البريطاني، الذي يضع السياسة لمحطات مراقبة الخدمات العسكرية، أوامر إيقاف اعتراض الرسائل العسكرية الروسية عندما برزت العداوات بين ألمانيا وروسيا). وأخيراً أرسلت الوحدة GC&CS دليلاً آخر عن عدم أمن الشيفرة الروسية، زاعمة أن الدليل جاء من قراءة شيفرة ألمانية من مستوى أدنى وكان حلها مشتركاً مع موسكو ومن أسير ساخط من النمسا. واستمرت المناقشات بضعة أشهر، لكن البعثة العسكرية البريطانية الآن ذكرت «بينما كان الروس يحتفظون بهزيمتهم سراً، فإنهم الآن «انتفخت رؤوسهم بالنجاح»، ومن الواضح أنهم يشعرون بأنهم ليسوا بحاجة إلى مساعدة. وما كان إلا توقع الشكوك المتبادلة التي تنمو مع نهاية الحرب ولا يوقفها شيء.

--- --- ---

obeikandl.com

الملاحظات

اختصارات مستعملة في الملاحظات:

AI: مقابلة المؤلف.

BI: المخابرات البريطانية في الحرب العالمية الثانية (هنسلي وأصحابه).

CAC: مركز أرشيف تشرشل، جامعة كامبردج.

GC+CS: الشيفرة الحكومية، وتواريخ مدرسة التشفير الرسمية للحرب العالمية الثانية، المتحف الوطني للكتابة السرية

HCC: مجموعة الكتابة السرية التاريخية، الأرشيف الوطني بكلية بارك.

NACP: المتحف الوطني بكلية بارك.

OH: تاريخ شفهي.

PRO: ديوان السجل العام، كيو، المملكة المتحدة.

الإشارات الكاملة للمراجع المطبوعة وغير المطبوعة الموجودة بصورة مختصرة في الملاحظات قد توجد في المراجع.

- الأحداث لا تقع على الجانب نفسه، ردود فعل الألمان على استخدام الحلفاء لمخابرات خاصة، GC+CS Naval singint III: 186.
- الاستجابة فقط بنعم أو لا: معركة الأطلسي GC+CS Naval XVIII: 34–35.
- ليس موضوع سؤال: ردود فعل الألمان على استخدام الحلفاء لمخابرات خاصة: GC + CS Naval Sigint VII: 187.
- (أيسوهامبرغ وايجرلاند): ردود فعل الألمان على استخدام الحلفاء لمخابرات خاصة GC + CS Naval sigint VII، 182–183.
- مستشفورت سيفشل أية محاولة: تاريخ الكوخ الثامن، رقم 4685، مجموعة الرسائل السرية التاريخية، 49.
- في أوائل خريف 1940: استخدام البحرية الألمانية لمخابرات خاصة، GC+CS Naval Sigint VII، 21.
- بعض التغييرات المتأخرة: استخدام البحرية الألمانية لمخابرات خاصة، GC+CS Naval sigint VII، 16–17.
- 80٪ من حركة الرسائل: المخابرات البريطانية، 2: 636.

obeikandl.com

- لم تغنها أية نتائج من فك التشفير: ردود فعل الألمان على استخدام الحلفاء لمخابرات خاصة GC+CS Naval sigint VII: 192.
- لم تستطع امتلاك وسائل متطورة في الرسائل السرية: مذكرة هيئة الحرب البحرية: 1942/3/18، مقتبسة من «ردود فعل الألمان على استخدام الحلفاء لمخابرات خاصة» GC+CS Naval sigint VII: 189–192.
- النوم في المكتب: الملازم ردولف ج فابيان إلى القائد سافورد 1942/6/13، سجلات مجموعة الأمن البحرية، قبل 1946، عرض قيادة مجموعة الأمن البحرية.
- RAM (آلات تحليل سريعة).
- كل طعام الفطور سباغيتي: بلارد (خدمة أكثر من فعالة) 148.
- أجرى حديثاً طويلاً مع وكيله: الملازم ج ردولف فابيان إلى القائد سافورد، 1942/6/13، سجلات مجموعة أمن البحرية، قبل 1946، عرض قيادة مجموعة أمن البحرية.
- سوف نعود: مانشستر (قيصر أمريكا) 271.
- إجلاء أشخاص وحدة مخابرات الراديو: «إجلاء أشخاص Comint* USN من الكوريجيدور، SRH 207، الأرشيف الوطني بكلية بارك.
- حمل 111 رجلاً: بلارد (خدمة أكثر من فعالة) 148–149.
- واجه وتيلوك مباشرة مأزقاً: مانيكي (أبطال هادئون) 3–5.
- الكثير للإهانة.. دواليب آلتهم سيغابا: إجلاء أشخاص Comint* USN من الكوريجيدور، SRH 207 الأرشيف الوطني.
- ألق بها في المحيط: مانيكي (أبطال هادئون) 78 دور مخابرات الاتصالات في الحرب البحرية الأميركية اليابانية.
- سبعة من خريجي ROTC: المجلد الثاني: SRH–012، الأرشيف الوطني بكلية بارك، 135.

obeikandl.com

- وجب أن يضع بالقائمة السوداء، مراجعة تاريخ لسير العمل والإنجازات لوحده OP–20–GR، 1941/1/1 إلى 1943/12/31، المدخل 1942/2/1، OP–20–GR، CNSG 5750/183، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك.
- تلقت البحرية كلمة: فرانك (بحرية الولايات المتحدة) 284.
- تذكر ماك كولوم ما حدث بعد ذلك: غورين (مخابرات الاتصالات) 677.
- «يحتمل أن يكون سراً عسكرياً: غورين (مخابرات الاتصالات) 684.
- مغامر استرالي بشاربين: فرانك (بحرية الولايات المتحدة) 285–286.
- صادق ضباط السفينة: شبهة في مخابرات الراديو البحرية من بارنيت USS، حزيران 1942، رقم 4504 مجموعة الرسائل السرية التاريخية؛ رسالة 1942/6/30، وفد قيادة البحرية البريطانية، واشنطن HW14/47، ديوان السجل العام.
- رد القضية: غورين «مخابرات الاتصالات» 669–670.
- في 15 آب: تاريخ GYP–1 CNSG 5750/202، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك 53.
- مخبأ كتب رموز وشيفرات JN–25C–9 أسر الوثائق اليابانية: إسهامها في OP–20–GYP، وفي تاريخ OP–20–GYP لعصر الحرب العالمية الثانية، CNSG 5750/199، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك 8.
- كثير من الرسائل تم تشفيرها خطأ: تاريخ GYP–1، CNSG 5750/205، ملفات كرين: الأرشيف الوطني.
- يلعن كل هيئة البحرية، روشفورت، التاريخ الشفهي، 118.
- منذ 1931 حرس السواحل: مذكرات حرب حرس السواحل (OP–20–6–70–60)، 1941–1943، CNSG 5750/193، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك.
- أقام علاقة عمل حميمة، بينسون (مخابرات الاتصالات في الولايات المتحدة) 48.
- جولة العملاء الألمان على نطاق الأمة: مذكرات حرب حرس السواحل (OP–20–6–70–60)، 1941–1943، CNSG 5750/193، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك: 5–7.

- من تقارير صحيفة قديمة، سلسلة غلاند ستاين الألمانية CG2–136، 18 تموز 1942، SRIC 322، الأرشيف الوطني.
- اجتماع في 2 نيسان: بينسون (مخابرات الاتصالات في الولايات المتحدة) 48.
- وافقت الوزارات الثلاث: تقرير مؤتمر معين لدراسة تخصيص تحليل الرسائل السرية في 30 حزيران 1942، «الجيش والبحرية تعليمات وأوراق»، رقم 4632، مجموعة الرسائل السرية التاريخية.
- وقع الرئيس على مذكرة 8 تموز لمديرية الخزانة، 8 تموز 1942، الجيش والبحرية تعليمات وأوراق، رقم 4632، مجموعة الرسائل السرية التاريخية، ❖ من مخابرات الاتصالات في البحرية الأمريكية❖
- هدد هوفر بالبدء بالاعتقال: بينسون (مخابرات الاتصالات في الولايات المتحدة) 127.
- "الولاء أو التمييز أو المخابرات": بينسون (مخابرات الاتصالات في الولايات المتحدة) 54.
- "نوع المخابرات التي جمعت" وثائق مختارة تتعلق بعمليات OSS في ليشبونة 5 أيار – 13 تموز 1943 SRH–113، الأرشيف الوطني بكلية بارك، 17–18.
- الأنباء الأسوأ جاءت بعد ذلك: "رسائل حديثة تعالج مسألة تسوية الرموز اليابانية في ليشبونة، رقم 2608، مجموعة الرسائلة السرية التاريخية، 1–2.
- اقترحت الأركان المشتركة: الملف 311.5 27 تموز 1943، الملفات ABC، الأرشيف الوطني بكلية بارك.
- يلعب دور ضابط مخابرات: أنشطة الجاسوسية اليابانية في الولايات المتحدة، 1941–1943–SRMN–007، الأرشيف الوطني بكلية بارك 169–170.
- خرج الأمر من الأميرال كينغ: "دور مخابرات الاتصالات في الحرب البحرية الأمريكية–اليابانية" المجلد 2، SRH–012، الأرشيف الوطني بكلية بارك 392–394.
- أعلن رومل أنه مريض: المخابرات البريطانية 2: 413.

obeikandi.com

- بنود نميمة، مذكرة 12 أيلول 1942، HW14/52، ديوان السجل العام؛ مذكرة إلى السيد كوبر، قسم الطيران، 21 أيلول 1942، HW14/53، ديوان السجل العام.
- تفريغ حاويات القمامة: فيليبس، مقابلة مع المؤلف.
- أرسل WACs بثياب مدنية، ألفاريز (رسائل سرية) 124.
- بأسلحة يدوية، ولكن بدون تدريب على أسلحة يدوية: مذكرة للقائد وينيجر، 1942/10/21، تاريخ GA2، (مكتب الأمن) 20 GA/G 20–OP، CNSG 5750/161، ملفات كرين، الأرشيف الوطني بكلية بارك؛ الفاريز (رسائل سرية) 123–142.
- أولاد الأخوة من جامعة أمريكية: ماك غينيس، مقابلة مع المؤلف.
- صداع آخر للقائد: ماك غينيس، مقابلة مع المؤلف.
- ولتر إيتان وأخوة إيرنست: (مفككو الشيفرة) 50–51، إعداد هنسلي وستريب.
- "نعرف إنه شيوعي: باتريك ولكنسون في (مفككو الشيفرة) 61، إعداد هنسلي وستريب.
- ماذا تفعلون الآن؟ "السرية" HW14/36، ديوان السجل العام.
- ضابط أمن في بليتشلي: جيمس بيلنجر إلى القائد دينيستون 1941/3/23، HW14/13، ديوان السجل العام.
- يكفي أشخاص حساسون: ولتر إيتان في كتاب (مفككو الشيفرة) 57، إعداد هنسلي وستريب.
- أرسلت مذكرة مرعبة: الأمن في GC + CS 1942/5/11، HW14/37، ديوان السجل العام.
- الحذر من دراسة اللغة اليابانية: تاريخ GYP–1، CNSG 5750/202، ملفات كرين، الأرشيف الوطني 60.
- إنه شخص غير مناسب، مذكرة إلى CSS 21 نيسان 1942، HW14/35؛ ومذكرة إلى CSS 1942/5/14، HW14/37، ديوان السجل العام.

- غرفة حرب مشتركة للولايات المتحدة وبريطانيا: MIS وزارة الحربية، أنشطة الارتباط في المملكة المتحدة 1943–1945، SRH–153، الأرشيف الوطني بكلية بارك.
- تفكيك رسالة إينغما في 11 أيلول CS/MSS/1391/T1–HW1/895، ديوان السجل العام.
- تأخير ليوم واحد: شمال أفريقيا، 1941–1943، GC+CS، الطيران والجيش مجلد 4: 30–31.
- وكان اختراق العقرب سهلاً كثيراً: تقييم وضع «E»، من حزيران إلى كانون الأول 1942، HW14/62، ديوان السجل العام 3.
- "أخبرهم بتأكيد ملحوظ": العميد وليامز وقائد المجموعة همفيرز روبرتس حول آلة الأُلترا، رقم 4686، مجموعة الرسائل السرية التاريخية، 3.
- اجتماع مهذب، العميد وليامز وقائد المجموعة همفريز روبرتس حول آلة الألترا، رقم 4686، مجموعة الرسائل السرية التاريخية 5–6.
- لدينا دليل معصوم عن الخطأ: رسالة 1942/9/11، HW14/52.
- "قبل بعض الوقت.. خبراؤنا" براون (المخابرات): كرو "التعاون البريطاني الأمريكي لتحليل الرسائل السرية 126.
- أعلم واشنطن أن شيفرة القاهرة تعرضت للشبهة: حادثة بلوبيرد، رحلة العقيد ماك كورماك إلى لندن، أيار–حزيران 1943، رقم 3600، مجموعة الرسائل السرية التاريخية 49–53.
- أخفق برد المجاملة: المخابرات البريطانية 2: 58–61.
- نظام السوفييت في المعركة: المخابرات البريطانية 2: 58؛ مثال، تقرير واسع عن أوامر القوى الجوية الروسية، 5 كانون الأول 1942، HW14/60، ديوان السجل العام.
- تجول أوشيما في الجبهة الروسية: بويد «ثقة هتلر باليابانيين»، 65.
- «تراجع إلى الأيام القديمة السيئة» من كرانشو، 1942/10/16، HW14/55، ديوان السجل العام.

obeikandl.com

- تحتوي القليل جداً: من كرانشو، 1942/12/2، HW14/60، ديوان السجل العام.
- وفجأة أطلق عليه: المخابرات البريطانية 2: 62–63.
- كان الألمان يقرؤون الشيفرة الروسية: كشفت رسائل الإينغما المفككة أن إشارات الجيش الروسي وقواه الجوية تم اختراقها منذ بداية الحرب مع ألمانيا، وكانت تقرأ خلال ساعات من بثها (القراءة المستمرة لإشارات الجيش الروسي وطيرانه من قبل الألمان)، 1941/9/6، HW14/19، ديوان السجل العام.
- توقف اعتراض الرسائل العسكرية الروسية: المخابرات البريطانية :N:1 199 إشارة رسالة المارشال العام تاريخ 1942/12/23، نسخ من الرسائل بين الفيلد مارشال والمارشل العام إلخ، HW14/60، ديوان السجل العام.
- رؤوس منتفخة: المخابرات البريطانية 2: 65.

--- --- ---

obeikandl.com